أمثلة على تطوير القادة من تاريخ الكنيسة

بينما نسير عبر صفحات هذا الكتاب، فإننا نَتبارك لإمكانيتنا على التعلّم من حكمة وخبرة القادة في المنطقة. فقد رأينا، وسنرى أيضاً ماذا يقولون عن تطوير القيادة، وكيف عمل الله على تطويرهم وقيادتهم في عملهم على تطويرهم لقادة شباب آخرين.

لدينا الآن الفرصة للتعلّم من إخوتنا المُتقَدّمين في الإيمان. يعود هؤلاء إلى تاريخ الكنيسة، حيث اختبروا بركات الله بينما عَلّموا ودَرّبوا وقدّموا نموذجاً لما تبدو عليه القيادة التّقيّة. يوفِّر النظر على الكنيسة التاريخية لنا نماذج لحياة حقيقية وعمليّة عن كيفية تطوير قادتها. إذ تُقدّم لنا الكنيسة التاريخية بعض التوجيهات المُفيدة بشأن كيفية تطبيق تلك النماذج في تطويرنا للقادة. وبعض القادة التي سنتطرّق لذِكرهم (كليمندس وأريجانوس وأغسطينوس) عملوا على تطوير قادةٍ في كنيسة شمال إفريقيا.

حين ابتدأت الكنيسة ما بعد العهد الرَسوليّ في إعداد قادة للكنيسة ركَّزت على التحوُّل الإيماني الشخصي والشخصية والتعليم الصحيح. وبخصوص التعليم الصحيح، يقول الديداخي، وهي مجموعة من التعاليم تعود إلى حول العام ٧٠ ميلادية: "رحِّبوا بمَن يأتي ويُعلّم جميع الأمور التي ذُكِرت لكم سابقاً، ولكن إن انحرف مُعلّمٌ وعلّم ديداخي (تعليم) آخر يُقوّض التعاليم السابقة، حينئذٍ لا تستمعوا إليه."[1] أولئك الذين يرغبون بقيادة كنيسة الله عليهم أن تظهر فيهم شخصية وصفات تعكس المسيح. "عَيّنوا لأنفسكم أساقفة وشمامسة كما يَحِقّ للرب، رجالٌ متواضعون وغير طامعين... صادقين ومُزكّيين."[2] يشير هذا المقطع نوعاً ما إلى طريقةٍ لامتحان هؤلاء القادة أو المُصادَقة عليهم، إلا أن وجود نظامٍ رَسميٍ لتطوير القادة ليس بالأمر الواضح.

---

[1] Lightfoot, J. B. *The Apostolic Fathers*. Grand Rapids, MI: Baker Book House. (Didache 11:1, 2)

[2] المرجع السابق (Didache 15:1:157).

وفي الخُلاصة، إن أقدَم الأدوات اللازمة للقيادة المسيحية، إضافة إلى الخبرة الدينية الأساسية والمعرفة المشتركة عند الجميع، وجب أن تُوجَد في موهبةٍ فور اعتيادية، والخبرة العملية في المستويات الدُنيا من المسؤولية، والتوجيه والتعليم الشخصيّين من رجالات الله الذين كانوا إمّا في مُقدمة الخدمة المسيحية، كأساقفة، أو كانوا مَفروزين بصورةٍ خاصّة لمهمة التعليم والقيادة.[3]

كانت مدرسة الإسكندرية[4] مركزاً للبحوث الدراسية المُلتزمة بتعليم العلوم والفلسفة في تلك الأيام، إلى جانب المبادئ الكتابية.[5] وبالرغم من ذلك التركيز الأكاديمي، قدّمت المدرسة تعليماً عملياً عن التّقوى لطَلَبتها. وقد أدرك كليمندس، أحد القادة الأوائل واللاهوتيين اللامعين في تلك المدرسة، أهمية الجانب العمليّ للتعليم.

حين يكون المُعلّم عَمَلياً وليس نَظرياً، يكون هدفه هو تحسين الروح وليس تعليمها، وتدريبها على القضية لا على حياةٍ فكريةٍ. ورغم أن هذه الكلمة تبدو تعليمية، لكن ليست في الحالة التي أمامنا. لأنّ الكلمة التي في مجال العقيدة تشرح وتعلِن، تهدف لأن تعلِّم. لكن لكون مُعلّمينا عَمَليين فإنهم يحثّون على اكتساب التصرّفات والسمات الصحيحة، ثم يعملون على إقناعنا بأنْ نتمِّم واجباتنا بحيوية.[6]

---

[3] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

[4] يقول البعض إنّه تمّ تأسيس هذه المدرسة من الرسول مَرقُس في القرن الأول، وآخرون يقولون إنّها بدأت في القرن الثاني. أمّا الأمر الأكيد فهو أنها كانت المدرسة الأولى والأكبر للتعليم المسيحيّ في الكنيسة الأولى.

[5] Oden, Thomas. 2007. *How Africa Shaped the Christian Mind*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press.
Kruger, Michael, 2017. *Christianity at the Crossroads*. London, England: SPCK.

[6] Oliver, Willem. 2015. "The Heads of the Catechetical School in Alexandria." *Verbum Eccles* 36, no. 1: 1-14.
.http://www.earlychristianwritings.com/text/clement-instructor-book1.html.

لم تستطع الكنيسة الأولى تقديم مثالٍ للمُفكر المسيحي أفضل من كليمندس. فقد أصَرّ على أن هدف التعليم المسيحيّ هو "عَملياً وليس نَظرياً، يكون هدفه هو تحسين الروح وليس تعليمها، وتدريبها على القضية لا على حياةٍ فكريةٍ."[7] حافظ كليمندس على عملية ثلاثية في اكتساب المعرفة: الدراسة (تقود إلى) المعرفة (فتقود إلى) الفِعل.[8] وحصر التفسير الكتابيّ للمُفكّر المسيحيّ، بدافع القلق من حدوث سوءٍ للفهم. لقد جمع كليمندس بين الجانبين الفكري المعرفي والعملي، فبالنسبة له، ليس من شكٍّ في أنّ هذين الجانبين يدعم أحدهما الآخر.

أما أوريجانوس الذي خَلِف كليمندس، فلم يَنقِل لطلبته علماً فقط، بل نقل إليهم شخصيته وسمات التقوى أيضاً.

> في حالة أوريجانوس، على الأقل، واضح أن قوة شخصيته وسماته المسيحية وقوة تكريسه للمسيح وشِدّة معايير سلوكه الشخصية، شكّلت جزءاً مهماً من التدريب. كتب ليبرتون (Leberton) وزيلير (Zeilier) عن أوريجانوس قائلين: "غيَّر أوريجانوس تلاميذه من خلال تأثيره الشخصي أكثر ممّا أثَّر بهم بعلمه وبحوثه. لم يكن مُجرّد محاضِرٍ ظَهَرَ من وقت لآخر أمام جمعٍ من الحضور، بل كان معلِّماً ومُرشِداً عاش باستمرارٍ مع تلاميذه.[9]

لقد قَدّم أوريجانوس التدريب والتعليم الكتابيّين الفعّالين. وسعى إلى إرشادهم أو قيادتهم في عملية التعلُّم، وليس لمُجرّد تقديمٍ للمعلومات.

> لم يرغب أوريجانوس في إضافة المعرفة لطَلَبته، بل بـ"أن يُعلّمهم الإجابة بأنفسهم عن الأسئلة التي تُثار أو تبرز في عملية تعلُّم علمٍ ما" (Behr, Louth & Conomos 2003:53). لقد رأى أن المَهمة

---

[7] Paed. 1.1.1.4-1.1.1.

[8] Oliver, Willem. 2015. "The Heads of the Catechetical School in Alexandria." *Verbum Eccles* 36, no. 1: 1-14. .http://www.earlychristianwritings.com/text/clement-instructor-book1.html.

[9] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

الأكثر أهمية هي تعليم محبة الله (Barrrett 2011:42). أراد أوريجانوس أن يكون مُوجّهاً/ مُرشِداً مدى الحياة بدلاً من كونه مُعلماً (انظر Green 2004:112). فالطريقة التي أدار بها حياته الروحية الشخصية كانت مثالاً جيداً لطَلَبته وقد جَذَبتهم.[10]

بالرغم من كون مدرسة الإسكندرية كونها أكاديمية بطبيعتها، إلا أنها رَكّزت على تطوير مهارات الخِدمة العملية والسلوك التّقيّ عند الطلّاب. كيف تحقّق هذا؟ من الواضح أنه حدث من خلال التعليم والإرشاد. لكن ممارسة التفاعل الشخصيّ، على الأقل من طرف أوريجانوس، كانت بمثابة أداةٍ تعليميةٍ رائعة مثل قاعة المحاضرات. أوريجانوس، والذي تعلّم من كليمندس، "عاش باستمرار مع تلاميذه." عَمِل كمُرشِدٍ وقدّم أُنموذجاً ودعماً للطَلبة.

كانت قيادة أوغسطين في الكنيسة ومن خلال عيش حياةٍ تشبه حياة الدير بمثابة دفيئة لتطوير القيادة.

أثناء فترة خدمة أوغسطين كأسقف، كان عدد رجال الدين في شمال إفريقيا كبيراً وكانت مكاتب الكهنة متطورة بشكل جيد. ففي مجمع قرطاج عام ٤١١، كان عدد الأساقفة الكاثوليك وحدهم ٢٦٨ أسقُفاً. وكان لدى معظم البلدات والقُرى أسقُفٌ خاص بها، وبعض هذه البلدات، مثل هيبو، كان فيها شُيوخٌ وشمامِسةٌ يخدمون في الكنيسة. ووِفقاً لفيكتور دي فيتا (Victor de Vita)، كان هناك تقريباً ٥٠٠ رجل دين في قرطاج وقت غزوات الوندال عام ٤٣٩.[11]

إن تطويرَ أوغسطينوس لهذا العدد الكبير من القادة شَمَل مشاركته الشخصية مع تلاميذه في الحياة اليومية. فهو لم يُعلّمهم وحسب، بل تفاعل معهم أيضاً في أمورٍ حياتيةٍ عملية. "هذا التواصل الحميم والشخصي للأُسقُف مع رجال

[10] Oliver, Willem. 2015. "The Heads of the Catechetical School in Alexandria." *Verbum Eccles* 36, no. 1: 1-14. .http://www.earlychristianwritings.com/text/clement-instructor-book1.html.

[11] Smither, Edward. 2009. *Augustine as Mentor: A Model for Preparing Spiritual Leaders*. Nashville, TN: B and H Academic.

الدين التابعين له وَفّر نوعاً من الإلهام والتّوجيه لرجال الدين الحديثي الخبرة. والمثالُ الأفضل لتدريب كهذا يُرى في مجموعة رجال الدين الذين اجتموا حول أوغسطينوس أسقف هيبو في أوائل القرن الخامس."[12] إن التزام أوغسطينوس في تقديم تعليم كلمة الله وحياة القداسة وسط المجتمع كان أحد أسرار نجاحه. فقد طوّر أوغسطينوس القادة من خلال التعليم والتوجيه الشخصي والنمذجة وإرسال تلاميذٍ للخدمة في الكنيسة.[13]

وتَضمّن توجيهه "برنامجاً يومياً لقراءة الكتاب المُقدّس، إضافة إلى فرصة لسماع وعظ وتعليم أوغسطينوس" و"كيفية تفسير المقاطع الكتابية وتعليمها للآخرين."[14] وأخيراً قام بإرسالهم ليَخدِموا في الكنائس. "كتب بوسيديوس (Possidius) قائلاً: "قاموا بتأهيل الإخوة للكهنوت، ومن ثم نقلهم إلى الكنائس الأخرى."[15] ونرى مُجدّداً الجمع بين التعليم والنمذجة والخبرة العملية في تطوير القادة الرعاة.

في العصور الوسطى والمُظلمة، صار إعداد القادة الرعاة مُنفَصِلاً عن الكنيسة وعن قادة الكنائس. فالانتقال بعيداً عن الكنيسة بدأ بظهور اضطهاد في العصور الوسطى، مما أدى إلى تحويل تدريب الخُدّام إلى الأديرة. "وجدت كنيسة العصور المُظلمة هذه نفسها في مواجهة مَهَمّتين هائلتين: ففي ظروف كهذه، ليس مفاجئاً أن يَلجأ التعليم والتدريب المسيحيّين إلى عزلة الأديرة وأمانها النسبيّ."[16]

---

[12] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

[13] Smither, Edward. 2009. *Augustine as Mentor: A Model for Preparing Spiritual Leaders*. Nashville, TN: B and H Academic.

[14] المرجع السابق، ١٥١.

[15] Smither, Edward. 2009. *Augustine as Mentor: A Model for Preparing Spiritual Leaders*. Nashville, TN: B and H Academic.

[16] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

أكَّد ظهور جامعات العصور الوسطى كمراكزَ للتعلّم على فصل إعداد قادة الكنيسة عن الكنيسة وقادتها. كانت هذه حركة بعيدة عن النموذج الموصوف في ١تيموثاوس ٢: ٢.

> سَعَت جامعات العصور الوسطى لإنتاج إتقانٍ في كامل حقل التعلُّم، مع اعتبار عِلم اللاهوت مَلِكَ العلوم. ولسوء الحظ، نظراً إلى أن الدورة التّدريبيّة بأكملها قد تَمتدُ إلى ما يصل إلى ١٧ عاماً، بما فيها من المناظرات وإلقاء المحاضرات، فقد أصبحت أقل ارتباطاً بعمل الخِدمة وأكثر فأكثر ارتباطاً بمسار حياة الدراسات الأكاديمية العُليا.[17]

حافظت الجامعات على أهميتها في إعداد الخُدّام، لكنَّ حركة الإصلاح شَهِدت إعادة توحيد الجوانب الأكاديمية والعملية مع الكنيسة في إعداد القادة الرعاة. صار هناك اتصال مُتجدّد بين الدراسة الأكاديمية والكنيسة، وأفضل مثال على ذلك كان "أكاديمية كالفن" في جنيف. "فقد تم دمج الأكاديمية مع كنيسة جنيف وكانت تحت سُلطتها، وهو أمرٌ من شأنه أن يجعل الطلاب تحتَ سلطة وتأثير كلمة الله والأسرار والانضباط."[18] وكانت مُشاركة القساوسة والرعاة مع الطَلبة عُنصراً مُهماً في إعداد القساوسة، إذ "تم توجيه الطَلبة والإشراف عليهم عن قُرب من مجموعة القساوسة الذين لم يَعمَلوا فقط على إنتاج قساوسة مَهرة بل أتقياء أيضاً." فقد كان أساتذة الأكاديمية نماذج للقداسة..."[19] سَمَح هذا التواصل بين الكنيسة وعالم الأكاديميات لتنفيذ "تدريبٍ أثناء العمل". "وفكرة إمكانية تعلُّم الكثير خلال فترة خدمة راعٍ تولّى منصبه، حافظت على التأكيد على'التعلّم أثناء العمل'، وهي فكرة قديمة بقِدَم الكنيسة."[20]

---

[17] المرجع السابق، ٧٧.

[18] Hawkes, Thomas. 2016. *Pious Pastors: Calvin's Theology of Sanctification and the Genevan Academy*. Bletchly, UK: Paternoster.

[19] المرجع السابق.

[20] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

أما العودة إلى إشراك الكنيسة والأكاديمية في التدريب على القيادة فقد تَدفّقت إلى الخارج – إلى الدُول المتأثرة بالإصلاح. ففي إنجلترا، قدَّم ج. ب. لايتفوت (J. B. Lightfoot) والمعروف بعِلمِه الغزير؛ في نفسه نموذج تعليم لطَلبته من خلال التفاعل معهم. وخلال القرن التاسع عشر، تم تأسيس العديد من كليات تابعة للأبرشيات. فعلى سبيل المثال، جَمَع الأُسقُف لايتفوت الخريجين المُرشَّحين للرسامة حوله في مدينة دورم (Durham).[21] فقد صارت الأمور الأكاديمية مصحوبةً بالتفاعل الشخصي بين المُرشَّحين للرسّامة ورجال الدين.

ومن الأمثلة الناجحة لتدريب الخُدّام في المعرفة والمهارة كان تدريب جون ويسلي (John Wesley) للوُعّاظ. "ما لا يقل عن ٨٠٢ من القادة المَرسومين ومن عامة الناس خَدَموا تحت إشراف جون ويسلي، منذ الأيام الأولى للحركة عام ١٧٤٣ وحتى وفاته في عام ١٧٩١. كان هناك ٥٤١ قائداً نَشِطاً تحت إشراف ويسلي وقت وفاته."[22] "كانوا رجالاً تدربوا 'أثناء العمل'، لكن ويسلي كان على عِلمٍ تامٍ بحاجتهم إلى التحفيز الذهنيّ والتوجيه العمليّ."[23] كما أصَرَّ ويسلي أن يجمع وُعّاظه بين الدراسة المُكرّسة والالتزام بالوعظ التجوالي.[24] وتَضَمّن نجاح ويسلي في النموّ القادة على التطوّر في القداسة واللاهوت ومهارات الخِدمة.[25]

ومع نموّ المسيحية في الولايات المتحدة، تشكَّلت طوائف مختلفة. أرادت كل طائفة أن يكون لها كُليّة تدرس العقائد والممارسات التي تميّزها عن غيرها. "منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر، أسّست الطوائف البروتستانتية مُعظم الكُليّات والجامعات في أمريكا الشمالية؛ وفي أوائل القرن التاسع عشر، بدأت هذه الطوائف في إنشاء جامِعاتٍ

---

[21] المرجع السابق.

[22] Gorveatte, Mark. 2016. *Lead Like John Wesley: Help for Today's Ministry Servants*. Indianapolis, Indiana: Wesleyan Publishing House.

[23] Rowdon, Harold. 1971. "Theological Education in Historical Perspective." *Vox Evangelica* 7 (1971): 75-87.

[24] المرجع السابق، 85.

[25] Vale, Jordan. 2014. "The Healthy Pastor: A Holistic Approach to Pastoral Training." Diss MReligion, Reformed Theological Seminary.

لاهوتية منفصلة لتدريب الخُدّام."[26] ومع الانتقال نحو الجامعات، وبالتالي الانتقال بعيداً عن الارتباط بالكنيسة المحلية باعتبارها ساحة التدريب الرئيسية للخِدمة الرعويّة، أصبح التركيز أكثر فأكثر على المعرفة الأكاديمية. وقد ساهم هذا بصورة كبيرة في تشكيل كيفيّة نَظر الكنيسة الغربية إلى تطوير القادة الرعاة. وهذا بدوره هو النموذج الذي صَدّرَهُ الغرب بشكلٍ كبيرٍ إلى الكنيسة المتنامية في جميع أنحاء العالم.

نَستنتجُ من هذه النظرة الموجزة للتاريخ، كيف تم تهميش مركزية الكنيسة في الإعداد الرعويّ. "وكانت النتيجة إعداداً أفضل للوعظ وفي طريقة إيصاله. ومع ذلك، اتضح أن أولئك الذين تم تدريبهم خارج كُليّات اللاهوت هم الذين يقودون كنائس نَشِطةً وحَيّةً ومُستمرّة النمو وواضحة بخصوص الهدف والرسالة والتنظيم."[27] كيف لتدريب القادة أن يعكس أفضل ممارسات مُخلّصنا والكنيسة الأولى والكنيسة على مر التاريخ؟ كيف لكُليّة اللاهوت "أن تكون مكاناً تحدث فيه دراسةٌ لاهوتيّةٌ جادةٌ وفقاً لأفضل التقاليد العِلميّة المسيحية؟" لكون جزءٍ من رسالة كليات اللّاهوت "أن تَخدِم الكنائس من خلال إعداد طَلَبتِها للخدمة؟"[28] هناك مكان لكُليّات اللاهوت في تدريب القادة الرعاة، ولكن ينبغي أن يكون هذا ضمن سياق حياة الكنيسة، أي جسد المسيح. هذا ما نجده في نموذج المسيح والكنيسة الأولى وأوغسطينوس وكالفن وويسلي وغيرهم. هذا هو الإطار الذي يشمل العِلم والممارسة وتشكيل الشخصية والاتصال المباشر بين التعلّم والممارسة في سياق الكنيسة.

---

[26] Weber, Timothy. 2008. "The Seminaries and the Churches: Looking for New Relationships." *Theological Education* 44, no. 1:65-91.

[27] Weber, Timothy. 2008. "The Seminaries and the Churches: Looking for New Relationships." *Theological Education* 44, no. 1: 65-91; and Dudley, Carl, and David Roosen. 2001. *Faith Communities Today, A Report on Religion in the United States Today*. Hartford, CT: Hartford Institute for Religion Research, Hartford Seminary.

[28] Venema 2002, 14.